عاشور الطويبي

كاليماخوس القوريني يعبر حقل الصبّار

شعر

أركنو للطباعة والنشر

2021

ظِلٌّ يتيمٌ أسمّيه الطوفان

البيوت قبائل

البيوت قبائل، مثل البشر تمامًا، تحرّكها عواطف غامضة، تشتعل فيها النيران، تنتشي بالبلل.

لا تدخل حروبًا ولا تتلصّص على أحد. جُلّ ما تفعله في حيواتها، أنْ ترسم غيومًا في السماء وتفتحَ للشمس وللشجر قلوبها. البيوت، رمّانٌ ينثر حبوبه الحمراء في الفضاء، علّ ذات يوم تمتدّ إليها يدُ إله!

في كلّ غرفة

في كلّ غرفةٍ، بقعةُ شمس وسريرُ ليل، وحدها نافذة المطبخ
تفهم لغة الحنّاء.
أحذيةُ الجلد العالية والصنادلُ تبقى على العتبة، يأخذها
الحنين إلى طرقاتٍ بعيدةٍ.
تكاد من شغفها تشمُّ عَرق نساءٍ جافلاتٍ خائفات.

كيف لها آنَ تمشطُّ الطفلةُ شَعرها، أنْ تغمضَ عينيها على
جمال أخّاذ؟
كيف لها آنَ يملأ المكانَ رنينُ خلخال وشهقةُ حال،
أنْ تلتفت إلى يعاسيب تحوّم ورمّانٍ يهتزّ؟!

الغابة لا تقف

عندما يكون بيتٌ لكلِّ فصلٍ، وفصلٌ لكلِّ بيتٍ، تجلس الغابة —الغابة لا تقف– على الطريق المؤدّية إلى القرية، تُرسل طيورَها، تَسترق السمعَ، تبعث روائح أوراقها إلى طاحونة القرية: الحارّةَ للقمح، الباردةَ للقصب، الحامضةَ للحلبة. أمّا ما تبقّى من الروائح، يجمعهاالطحّان في قرطاسٍ، يعلّقه على مئذنة الجامع.

حكايات

الحكاياتُ التي تدخل البيوت، ليست الحكايات التي تخرج منها. حكاياتٌ بلون الجعّة، حين تقترب منها الشمس، وبلون القرفة، حين تجلس قريبًا من الليل.

للحكايات أفواهٌ ولغات. لكلِّ فمٍ، قفلٌ مفتاحُه على صدر عذراء، ولكلِّ لغةٍ، حِبرٌ يخرج من بئر النسيان؟ النسيانُ، خازنُ حكايات. لا جسدَ له، لكنّه ينبت كما تنبت سنابلُ القمح والشعير. يحبُّ القمرَ في تمامه ويحبُّ من الأغاني، ما يولد في المراعي والسهول. إنْ شققتَ صدره، يهبُّ نسيمٌ له من صفات البحر، السلاسة ومن صفات النار، الشوق ومن صفات الحديقة، الغبطة ومن صفات الرمال، حنين الذئاب.

استدارة

استدارة أيِّ شيءٍ، فعل خطيئة. كأنْ تقولَ: استدارتْ القصيدة، على نفسها.

السهم، يستدير على ضحيته. عيدان القصب، تستدير على الماء. نخل القرية، يستدير على النسيان. فراشات كثيرة، تستدير على نهار وليلتين. الفتارين المضيئة، تستدير على شغف الشوارع.

ضحكات طفل وطفلة، تستدير على وجدٍ شفيفٍ. فراغُ كونٍ —أو هكذا نراه–، يستدير على فجيعة عظيمة.

فأيّ استدارة يكون قلبك يا لاعب النرد؟

خرّوب

كذلك البيوتُ الوحيدةُ، تخاف. تحضن نفسها، واقفةً،
تراقب ندف الثلج.
تمدّ أعناقها، إلى الفضاءِ الرمادي. تجمع ما تفتّتَ، من
الصمت، في صندوق خشبي، تضع لوعاتها، أمّا خيباتها،
تتركها تركض في الشارع، عريانة
-هكذا تركض الخيبات- .

كذلك البيوت الوحيدة، لا تنام. تغزل وحشتها، خيوطًا
طويلةً، تعلّقها، على أغصان الشجرة القريبة، قُرونَ خَرّوب.

ظِلّ البيت

ظِلُّ البيت، الذي بنيته في صبراتة، شاسعٌ ،كابتسامة اليوم الأوّل من رمضان.

حوافّه، ناعمةٌ لا التواء فيها. صدره، باردٌ حين تأخذ الشمس في العودة إلى بيتها وراء مقهى الجرف.

ظِلٌّ، تتفتّح أزهاره السرّية في الليل. يذوي، حين تتعالى أصوات الغرقى.

يرتجُّ حزنًا، كغابة تُركت للنسيان. يلعق الموج، أطرافه ويجمع بيديه الخائفتين ما يركض، على الرمل من سلطعونات.

ظِلٌّ يتيمٌ أسمّيه الطوفان.

أهكذا إذن، ترقص في حقلنا القبّرات

غبار على المصباح

"الأرض

صخرة

لا تشيخ ولا تجوع." قال عاشور

"الأرض

نملة مرّة،

وكالطود مرة أخرى"   قال ابن الوردي

"سأجزّ العشب على الصخرة العالية،

أمّا تلك البيوت الغارقة في الظلال،

سأعلّق على حيطانها، صور الفتية الغافلين.".   قال عاشور

"خيط الفرحِ اللمّاع، أنا روحُه الجيّاشةُ

الشجرات في أعالى الجبال، أنا كتاب خرافاتها

الغبارُ على المصباح، أنا حامل جسده حيث حطّ."   قال ابن الوردي

"سأدفعُ بهذا البحر وهذا الجبل ،
إلى مساء شاسعٍ."   قال عاشور

"ليس هذا حدُّ البحر، حدّهُ في قلب السماء." قال ابن الوردي

كانت النافذة

في الصباح ،كانت النافذة تهتزّ قليلاً، والولدُ، يتأرجح تحت شجرة اليوكيلبتوس.

في الظهيرة، كانت اليدُ ناعمةً، الشهقةُ حارقةً، الصدرُ وردةً، ورعشةُ الشفتين غمرتها مياهُ البحر.

في المساء، الراحلون، ينتظرون الظلَّ بين الماء والسماء.

في الصباح،كانت النافذةُ تطلُّ، على غابة ونهر.

امتلأت الغابةُ بالعشّاق، والنهرُ بالأسماك.

ضجّتْ الغابةُ بأصوات الأطفال، والنهرُ بطيور اللقلق.

في الليل، عادت الغابةُ إلى سكينتها، والنهرُ إلى حبيبه القمر.

أهكذا إذن!

في الحلبة، الفرسُ والفارسُ.

لا تغضب، إن غادركَ البحرُ، وانسابت حبّات الهوى، بين أصابعك.

إلى متى، تدفع بالشجى إلى حافّتة القصوى.

رويدك يا شاعرُ، وجوه الأهل على حائط الليل، والعصافير تؤنّس وحشتك.

لا تلتفت، إلى وجهك على الحجر، سيأتي وقتٌ لا محالة.

الشايُ على الطاولة والأحاديثُ دافئة!

في الركن البعيد، ظِلُّ المرأة يرتعش.

سيأتي وقتٌ لا محالة، الكأسُ على الطاولة والأحاديثُ كرات ضوء.

الريح، لامست خصلة الشَعر، القاربُ والقبطانُ، ابتسما واختفيا في الأفق.

أهكذا إذن، تميل الشجرة على السوسنة وتتلذّذُ الشفاه بالشفاه؟

أهكذا إذن، ترقص في حقلنا القبّرات؟

سترة الشاعر

النسّاجون والنسّاجات:

قطفوا كلّ ارتعاشة، رمتْ بها قلوبهم.

قطفوا غاباتهم ومطرهم وحيواناتهم.

قطفوا رغيفهم عسلهم سمنهم ونومهم.

في سترة الشاعر، مالينخوليا، قد تخفيها زهرة حمراء، أو تتباهى بها صرخة حجر.

ارتجال عازف الترمبيت

يدان تسوّيان، رداء البحر.

يدان تربّتان، على كتف الغابة.

حجارةٌ في البحر، تُحدّثُ عن سفنٍ جاءت ورحلتْ.

بذورٌ في الغابة، تحدّثُ عن كونٍ جاء ورحلْ.

إصّيصُ وردٍ، على الطاولة.

شجنٌ، يُطلُّ من وراء النافذة.

سماءٌ زرقاء، تتثائب.

السماء البعيدة

في السماء البعيدة، الحمحة حمراء، الفراشة تلويحة يدٍ طليقة.

في السماء البعيدة، الأغاني أوراق تين، الشرفة،ضيّقة.

هذه أحلامي، التي تركتها في صندوق طفولتي.

الرأس يبكي، لكنه لا يملك جسدًا، يأخذه إلى الشوارع.

الرأس ،خالٍ من الضحكات، خالٍ من الغضب، خالٍ من الحسد.

الرأس، يعرف أنّ أثقاله كبيرة.

حسبه أنه يزهر مرّة ومرّة

كون مشغول ببعضه

البستان مشغول بالقمر

القمر مشغول بالمغنّي

المغنّي مشغول بالحبيبة

الحبيبة مشغولة بالجدول

الجدول مشغول بالسمكة

السمكة تسبح في بحر كبير.

هذا الحديث لم أبح به للنخلة، ولا لحامل الماء

وهذا الحزن سقط من جناحي طائر بين الأرض والسماء.

الاستماع إلى شارلز مينغس صباحاً

كائنات تلوّح بأيديها من قلب الحجر

خفيفاً تلمسُ السنونوةُ، بومةَ الحقول الشهباء الواقفة قبالة الشمس

سربُ طيور الحجل، اختفى من السماء

نسوة في جلابيب سود، تغوص أقدامهن في رمل الشاطىء

بعيدة مدن الشمال، هشّة أحلام الصحراء.

كانت استلقاءة القطّ على الشاطئ مِراناً على الموت.

شمس الهاجرة

شجرات التين تُخرج آخر ثمرات هذا العام.

هبت ريح القبلي، مالت النخلات

البحر ليس بعيداً!

باب بدقّاقة رأس غزال

لن أبوحَ لكمْ بما أُبصرُ

سأجعلُ الشكّ يصعد الجبل، والأصواتَ تهيم في الصحراء

كان نائماً على ظهره لا يفعل شيئاً

كانت نائمة على ظهرها لا تفعل شيئاً

سأحكي عن سارق السنابل، الذي بنى السور، وأطلقَ

الفريسة

عن الذي قُبض عليه في حمّام النساء، الماء تحت قدميه،

والصباح على يمينه

عن جسدٍ غاب في النسيان، وسريرٍ باتجاه الجنوب.

أمنية

فِي حِجرها حطّ، الطائرُ، الخفيفُ، السرّاقُ، الثرثارُ، المتردّدُ.

كي يشرب من كأسها، يدفع رشوةً، لثلاث سنبلات

كلّ يومٍ، يأخذ إبرته ورمحه، بالإبرة يخيط دهشة القميص،

وبالرمح يقطف أغنيات الليل

مَنْ يشتهي حيرته؟!

ليته أبقى على كتاب ألف ليلة وليلة مطويّاً!

حلوى الملك

أجلسُ تحت شجرة التين

أقضمُ حلوى الملك

أشمّ ريح المسك

أرى العدم وجودًا وطمأنينة.

مُدَّ يدكَ إلى حلوى الملك

واجلسْ معي تحت شجرة التين!

الفراشاتُ أشجارٌ تحت سماء صافية

السحالي أيامٌ تجري خائفة عجلى.

اختر نارك: نار حرق أو نار سرور.

الماء والهواء والتراب، والنار، كلاب تهزّ ذيولها للضيوف.

لا تضرب حديد الظلم بالحجر فإنه يلد.

اسطبل

لا تظنّ أنّ الحصان الذي يتباهى بالسرج، خارج الاسطبل!

الريح الشرقية غبار يابس موحش مرّ!

لها على الماء خيل هائجة، وتذوب في الليل كما يذوب الخيط في القنديل.

حسبُ الجثامين في الساحة، أنّها بلا أسماء.

حسبُ نبات الرتم أنه يزهر مرّة ومرّة .

أغاني في طريقها إلى بيتي

مسافة ذراع، تبعد الشجرة عن السمكة.

سِربُ نملٍ حاشية البحر، سِربُ سنونوات حاشية الغبار.

باردٌ سور البيت، لا طرق على الباب، لا وقع أقدام.

أتشمّمُ أوراق النعناع؛ تفيض الطفولةفي صدري.

أتبع بإصبعي درب السحالي؛ خمسون عقدة في الحبل.

يدُ الجبل ثقيلة على الرمل، يدُ الشجن ثقيلة على الروح.

خِفّةُ الخلاعة، قميص الكتان الأزرق يهتزّ على الحبل.

الصخرة قبالة بحر صبراتة، تختبىء في الظلال وتسمع الأغاني !

لأنّ الخريف دائمًا سكران

حقل فول

سقفُ كلِّ بيتٍ حقلُ فولٍ

إنْ رأيتَ فراشاتٍ في فناء بيت،

تلك ضحكات أصحابه

إنْ رأيتَ شقوقاً على الحيطان،

تلك دموعهم

إنْ رأيتَ أوراقاً صفراء حمراء على عتبة البيت،

تلك أرواح الذين سكنوه

إنْ لم ترَ شيئاً في فناءٍ أو على حائطٍ،

اعلمْ أنّ شوقَ النهر فاض!

جرح عميق في السماء

من أين جاءت هذه الحُمرة؟

من جُرحٍ عميقٍ في السماء

أو من أرجل السلطعونات الراكضةِ على الرمل

أو من الأحراش الكئيبة على الجبل

أو من ساقية غلبتها وشوشاتُ العاشقين

أو من حنجرة المغني السكران

أو من هذه البيداء الوحشيّة

أو من يدي

أومن يدِكِ

أو من إلهٍ يتنصّت على الكائنات!

الخريف حبيب الرمّان

لأن الخريف دائماً سكران،

هكذا تأخذ شجرة الرمّان أنفاسها!

شجرة التين في فناء بيتي،

أخذتُ عودها من شجرة غرسها جدّي

جدّي الذي مات وهو يقول :

للشاي روح فلا تشعلوا فيه النار إلا بقدر،

ولا تقتربوا منه إلا على طهارة

الشاي طريق من طرق الجنة

قال لي أبي ونحن نجلس تحت شجرة رمّان :

لم يكن لدينا أوراق تبغ أو كاغد نضع فيها التمباك

لكن كان لدينا الكثير من الطين

للطين رائحة شبيهة برائحة الحريّة

هل تعلم ما رائحة الحرّية؟!

كاليماخوس القوريني يعبر حقل الصبّار

فضوحاتُ اللسان في الليل، غير فضوحات اللسان في النهار

كذلك فضوحاتُ القدم واليد والعين والقلب

ليس كلُّ فضوحٍ يوصلُ إلى شارعٍ أو سقيفة

ليس كلُّ فضوحٍ عتمة.

فضوحُ الوردة عطرها

فضوحُ البريد ضحضاحٌ شاسعٌ

فضوحُ الظهيرة ظلٌّ مكسور.

**

ليكن عَلمك على جبل فلا تضلّ

ليكن عَلمك على شجرة فلا تكمدْ

ليكن عَلمك على منارة فلا ترقدُ على الرمل ميتاً

ليكن عَلمك كرسيّ تتلو عليه تعاويذ الفراق

**

هاتِ القوس مشدوداً

هاتِ الفرس نافرةً،

هاتِ المرأة فرحاً

هاتِ الجرح ناتئاً

هاتِ الليل كظيماً

هاتِ القلب على ظهر خنفساء.

**

لك أن تقطعَ الحنين قِطعاً قِطعاً

ولك أن تدسّه بين جنبيك فلا يراك أحدٌ إلا قال هذا شاعر ضليل

لك أن تقطع النهر قِطعاً قِطعاً

ولك أن تنثره على البريّة، فلا يراك أحدٌ إلا قال هذا سقّاؤهم الذي جُنّ.

**

هل ترى ذلك الحبل المعلّق في السماء؟

هل ترى ذلك النهر الجاري بين الحقول؟

هل ترى ذلك البيت على الجبل ؟

هل ترى تلك الأترجّة على المائدة؟

لا تبرح مكانك وأنت بين ليلين

لا تبرح مكانك وأنت بين أمرين

لا تبرح مكانك وأنت لا أنت أنت.

سيأخذك الكلام إلى قومٍ يعصرون خمراً

انظرْ،كيف يهمهمون في الأفجار

انظر، كيف إذا غربت شمسهم، رفعوا أصواتهم بالغناء

لا تتوقف على طريق قريتهم.

امضِ ولا تلتفت وراءك.

**

نحن قومٌ نلعن حيواتنا لشحّ مائها، وشحوب ترابها، ويباس سمائها

نحن قومٌ نستلّ اللحن من قلوب الأشجار ومن أخفاف الإبل

نحن قومٌ تحفظ قلوبنا أنّات التلال والأجراف الشاهقة

نحن قومٌ أبصارنا مشدودة بخيطٍ يتدلّى من سماء قريبة

نحن قومٌ نسمّي أولادنا بأسماء طيورنا،

ونسمّي أحجارنا بأسماء أصنامنا.

**

أحزنٌ على لسانك أم فرح؟!

نبْرةٌ على راحلة، هكذا يتقطّع صوت الشاعر.

خمس مقاطع للهاجرة

1

أخذوا ميّتهم، إلى مقبرة البحر،

لكنّهم، لم يروه ،وهو يمشي، خلفهم،

يجلس، تحت نوافذهم، يسرق، من بلح نخيلهم،

ولم يعلموا، أنّهم، يتعثرون فوق جثته، في الطرقات.

كان دليلَهم، صوتُ جدجد.

....

لا تأخذ ميّتك، إلى مقبرة!

2

"إلى أين يمضون؟" يتساءل الميت، الذي، يرتجف من البرد.

"لِمَ فجأة، أظلمتْ الطرقات، من سرق، الشمس؟!"

3

عَلَتْ الأسوار، حول طرابلس!.

هواءٌ يرقدُ، فوق هواء؛

على رأسكَ، شمسك، وعلى ظهرك، خطاياك.

ستطلع، سنبلةٌ في فمكَ.

ذراعاك، على جانبيكَ، يلوّحان، للطائر الغوّاص.

4

طائرُ اللقلق؛

في الشرق، لقلق

وفي الغرب، لقلق.

أيّ لحنٍ، سيطلقه، في الكون؟

5

لو خُيِّرتُ، سأختار:

الخطوات، وليس الأثر،

الهبّة، وليس الريح،

القبسة، وليس النار،

الدمعة، وليس البكاء،

الصخرة، وليس الجبل،

القطرة، وليس الغيم،

الضفّة، وليس النهر،

الأرض، وليس السماء.

ريشةٌ تتقلّب في الحيرة

يبدأ حجاب الرؤية من زلزلة السؤال إلى شرنقة اللذّة

تبدأ هشاشة الحال من عُري الأرض إلى تلصّص المطر

سيقان الريح دونها رعشةٌ وتيهٌ دونَه تيه

**

الفتى يقرأ في الشُّبهات آيات الطمأنينة

الفتى يرشق في الأفق الخيبات الهاربة

الفتى يراكم في الظلّ المهمل هفوات العمر

الفتى يتأوّه في الحجرات البعيدة

**

سِرْ سِرْ سِرْ وتنفّسْ سِرْ سِرْ سِرْ

على ظهر الحصان جلس الفارسُ

عاريًا إلّا من تاج يلمع تحت الشمس

**

البراري غبارٌ تذروه الليالي

لم أر غير جَملٍ وامرأة جالسة وقطفة حبق

هادئاً ورقيقًا يغشى العينَ غيمٌ الحزن

**

يتلوّى الهمس الخائف في فلوات الوحشة

فخورةً تقف النخلات بأثدائها الصغيرة

الناقة تسير إلى فراغ شاسعٍ

تغرب الشمس نعسانة في أصواتُ الطير

**

في مرآة الشمس يتقلّب الليل

بين خيط الضوء وخيط العتمة غربال الرؤيا

الكائنات تدخلُ السماء من بوابة الأوهام

**

يؤوب القمر يصعد إلى سريره يحدّق في الفراغ طويلاً

تقدّمْ أيّها الخريف مدّ ساقيك على حصير أصفر

فأنا ضفدع صحراء يُدحرج الوقت

**

حين وضعتُ صرختي على صدري لم ينتبه العصفور فوق الغصن

البحر السكران يهزّه موج من فوقه موج

القلبُ الفارغ لا يتوقّف عن تثبيت أزرار سكينته

**

يقذف البحر الماكر زَبَده على المرأة المستلقية

لم يبق من شظف الجسد إلّا لذّته القرمزية

إلى جسدها جاءت الأسماك وغنّت

الفتى خاتلَ حارسَ الليل وغاب في الطريق

كأن العروس حقل زعفران

أدهشتِ البحّارَ انزلاقةُ القارب الناعمة على الرمل

**

أصابع الطمأنينة تُطلقُ في الهواء فراشات العشية

في القبر الأول جسدان

في القبر الثاني هفوات

في القبر الثالث سراج

**

البومة بلا حراك

مَنْ يسمع الآتي مَنْ يسمع الراحل

تركني النسيان وحيدًا أتذكّر حاشية الثوب

وكيف سقطَ جسدها الرشيق على سجّادة الكون

لا صوت أُشارك به جوقة الكائنات

لا أقدام تسبقني ولا أيدٍ أُبعد بها الألم

**

كلّ صباح أصعدُ طريق الشمس

أقطفُ الحصى المتناثر في البرية

يدهشني ذوبان الأصوات في الفضاء

لا أُبقي منها إلا رجفة طفيفة في أجفان الليل

**

لأنّها ساذجة تبوح بأسرارها

جبلٌ يجلس في ظلّه

كثيبُ رمل يسرق من شجرة تين رائحتها

على بابها يقف حصانان هائجان

الليل غربال النسيان

المدينة ألف إصبع يتحسّس المطر

**

المارون الشامتون الصامتون على مضض

الحاملون نعوشهم على ظهورهم

السابحون في عبادات اللسان

المارقون الساجدون تمشي أمامهم خطاياهم

**

عليها أن تستلقي عارية تغازل النجوم

عليها أن تحفر عميقًا في لسان الكون عن أصواته

عليها أن تُبعد أحلامه

عليها أن لا تنفض أبدًا من على سريرها غبار الليل

**

لطائري الحجري أربعة أجنحة ومنقار ذهبي وحكايات طويلة

عن نساء هائجات

عن أطفال وضحكات وبحر عن آهات حزينة ولهب

عن مقابر في صحارى بعيدة وأنين

عن بيضة كانت لأبي أتوسّدها حين أنام

**

كلّ شتاء يبني الظلّ بيته يجمع آهاته

يرفعها عاليًا في السماء يطهّرها بغيمة أو بعض يقين

هو يعلم أنّ العمر قبضةُ يدٍ فارغة

**

ضُمّي إليكِ أيتها اليرقة البارعة خواء النور

ضعي ختمك على فم اللهفة

انظري كيف يحرق الشعراء اللّذّة وكيف يطحنون ماء الرغبات

**

مخيفة الأرض غارقة في الغفلة

وأليفة ضربات النحّات الأعمى

لقد صار رأسي ناب عاج وعيناي حبّتَيْ فول

لكن وقفتي لا تستقيم إلّا بنبيذ أحمر

وذاكرتي لا تذكر من ليلها إلا هذا الحطام

**

سطّر الحالمون أغنياتهم

أعطوا لكلّ زهرة اسمها ولكلّ ريح شراعها

وُجد في سِفر قديم أن السلحفاة (رحمة بالعالمين) قد أخفت

في الفراغ العظيم بكاء الأنبياء

**

أهذه خلوات للمحو أم حجرات لّلذة الماكرة؟

كنتُ قبل التمساح وقبل السلحفاة ملكًا على الماء وعلى الطين

في عيني نام الوقت طويلاً وكان الفراغ مركبي في وحشتي الأبدية

على الحجر تركت نابين وانتفاخين ينبضان على مهل

**

طاش سهمي وانفتحت البطحاء أمامي

تلمّسْتُ نتوء الذلّ وحوّمْتُ آن استطعتُ على عرش السوسنة

قبر السمكة حجر وشمس وهواء

إلى أين رحل البحر وماء البحر؟

هزّت عظام ذيلها قليلاً ونظرت بعينين متعبتين

الماء هناك في الأعلى أزرق

أعرفه لا يبقى على حال

**

قال الجالس أمام البحر لرفيقته الناعمة: انظري

فرعون بكامل عدّته ندبةُ الحرب على جبهته ومراهمُ العطّارين السميكة

على صدره وفخذيه خصلاتُ شعره ملفوفة بخيط حرير أحمر

هذا ما تفعله الريح بفرعون وبقبلات العذارى

**

مثلما للأصبع بصمته كذلك للحجر بصمته

حجر الرمل حجر الشجرة وحجر الماء

أعمى يتلمس في القبو خطواته

وحجر يتلمّس خطوات الليل على الجدران

**

يصعد المعنى في جسد الكلمة مثلما يصعد الماء في جسد الشجرة

لكن الحيرة تبني أعشاشها وتنتظر هناك في آخر الطريق

**

مستلقيًا قربها على فراش التين وأوراق الصنوبر

ورداتها أغلقت أبوابها ورداؤها القرمزي يهتك سرّ عريها

**

"إلى البحر" قال كبير الكهنة

"إلى البحر القوا بهما وارتدّوا على أعقابكم ستدخلهما الريح الهائجة سرّة الكون"

قال كبير الكهنة وهو يلوّح بيده المرتعشة

**

ثلثاي رأس والثلث الآخر ذيل

غرّتي قوس واسع

عيناي أين عيناي؟

طين لازب وتخاريف نار

**

في قعر الوادي على حاشية الماء وفي أعلى ساق طائر الحناء

صوتٌ خيّرني بين موت في سقيفة ظليلة أو موت في حانة

كنتُ سكران وكانت الموسيقى في أول الديوان الكبير

**

قالوا رأسي حبّة عدس لكنّي ملك

اخترتُ الجبل سكنًا ومستقرا وطائر البوبشير لي رمزًا

أعلّق على كتفي الأيمن مشبكًا من ذهب

أطلق جيادي مع مجيء الفجر الأبيض

ولا أستقبل الليل إلا سكران

طوبى لي وطوبى لمملكتي

**

على الجانبين تنهار الموجات واحدة إثر أخرى

رايات كثيرة ملونة عالية وأنا ببطء شديد افتح عينًا واحدة

وببطء أشدّ أقضم قضمة من عنق زهرتها وأغرق في النوم

**

لأنجو من بحر الرمل ألتصقُ أكثر

أدوّر نعومة الرمل تحت الصدر وتحت البطن

أجعل درجًا على بسطة كلّ رجفة

**

تحدق مقاعد الحديقة الطيبة في الفراغ

تخاطب الطفلةُ في الفستان الوردي قطتها السابحة في الهواء

تنهمر أغاني الربيع من صومعة الجامع

ترنو باسمة في عليائها السموات

نرقص ونملأ الكأس تلو الكأس إلى أن يفضح الديك رسول النهار

**

من نافذتي يمكنني أن أعرف كم مرّة غطس عقرب الماء العظيم!

يقف على حراشف قدميه الخلفيتين يرفع أذرعه الثمانية يقوّسُ صدره وبطنه

ثم يلتفت نحوي ملوّحًا بقرنين أسودين طويلين

**

في الحضرة يأخذني الأرجواني الوديع

في السكْر يأخذني الجناحان المستسلمان إلى رائحة القرنفل

في الشهقة يأخذني خيطها الحريري إلى استدارة الصباح

في الظلمة يأخذني الوهم إلى حرب جديدة

**

تطلُّ بأعناقها هادئة كأن المساء لم يعبر بوابة الظلال

فوق كلّ نخلة حمامة وفوق كلّ حمامة سماء

غاب النوم والنافذة مفتوحة على الصحراء

**

بيديّ أُدوزن ماءها

غربان الأمس لم تأت لعلّها رحلت معهم!

عندما تهدأ الكائنات تنسلُّ في الليل عفاريت الريح

في التيه تتداعى الكلمات تتباعد جذوع النخل تتقارب الأحلام

**

الطريق إليها أحجار حمراء وظلال شاحبة

الذين مرّوا تركوا روائحهم

الذين بقوا أخذهم النسيان

في الصيف تزدهي قبّتها البيضاء

**

نتوء في الريح معلّق هكذا

وغبار خطواتهم يبحث عن صدى أغانيهم

رأس الملكة وعنقها الطويل على النهر

والنهر يلقي سجادته الذهبية قاربًا لقتلاه

**

جاءوا بحملين كبيرين من تمر وتين

جاءت دواب البرّين رَمَتْ النظرات الحزينة على وجه الماء

عندما ارتفع رأسها قليلا ورنت بعينيها نحو الجنوب

اهتزت الأرض وانتشر الظلام

على قضيب يستريح حجر

**

هذا ما تبقى من قيظ ظهيراتي

جِرار خمر وصدى كلام عابر

الحجر أفشى أسراري وهرب مع الهاربين

هذه بوابة التعب العظيم وهذه نافذة اليقين

قُرب دورق مكسور ظِلّ عقرب جائعة

فناء مليء بالعويل والعرق

هذه آخر بواباتي أين المفر؟

**

دخلوا بقبعاتهم الطويلة المدبّبة

بتنانيرهم القصيرة المشقوقة من الجانبين

بلحاهم المضمّخة بزيت الزيتون

بصنادلهم الملوّنة من جلود السنور والتماسيح

في أيديهم أوراق ومن خواصهم تتدلّى محابر وأقلام

دخلوا صامتين

**

إطلاق نار متقطّع الرجل النحيف يضحك

لم أتوقع سقوطه كان يتكلم بلا توقف

بين أغصان عارية نصبتِ الطيور شراكها

هوىً ساهرٌ بين مكحلتها وانزلاقة الحرير

أطلق قذيفته لمحَ طيف صديقه يهرول نحوه

ميتان في وادٍ غير ذي زرع

**

ركبوا الحافلة على عجل

تمايل السكران ألقى السلام على عجل

ضاربو الطبول جاءوا من كلّ مكان

أنهى أُغنيته الحزينة الولد الوراءِ السور

فتح الكتاب انتزع السيف من يد القتيل

همسٌ حميم رافقه إلى آخر المدينة

قوس الظهيرة خيط لا يكاد يبين

**

من كوة في أعلى الحائط يختلس السجين شذرات حياة

يراقب تنهيدته تصعد سماء الله

أغمض عينيه لم يشأ إعادة الجملة مرتين

**

أصفق بيدي في الظلام لم أتوقف منذ خانني الشِعر

أُحبُّها يدي لأنّها مسحت الكلام عن الكلام

أتألم لأن النوم يأتي قبل أن أسمع أغنية الطائر

أتأمّل مليّاً أسئلة السماء وأشهق برؤية طفولتي البعيدة

**

كلّما جاء خاطر بلا دعوة أنْصَتُّ بانتباه إلى البلاغة الساذجة

ورقة الحبق الطريّة في فنجان الشاي تستلقي كإلهة ليبية قديمة

أتبعُ أثر الطائر فقط لأسمع لحنه الكونيّ

في الخريف أحدُّق كثيراً في السحب العابرة

**

لعلّي ذات خريف أفهم طائر الحنّاء

مطر على نافذة المطبخ

من خزانة الريح تأتي رائحة شجرة التين العجوز

صوت الناي يرتجف سماء تتكئ على حزنها

هوى المنقّبة ريشةٌ تتقلّب في الحيرة

**

"لقد غادر الصيف" يقول العجوز الذي جاء مع البحر

حين صعدتُ الجبل توقفتُ حزيناً لم أسمع نباح كلابهم

رأيتهم بين العتمة والماء

المرأة والصبيّ والأعمى الذي نسي الكلام

**

في السهل الشاسع

في أيدي الرجال الملتحين

في حكاية الراوي البليغ

حبّة خردل لا أكثر

تأملات في شرفة على البحر

قطرات ماء وأزهار مشمش

قصائد بورخيس تستلقي كسولة في نقيع العنب

القطّة تقترب بحذر من حاشية الطاولة

موسيقى النُوا اليابانية تميل على ضوء النافذة

قطرات ماءٍ وأزهارِ مشمش

الوقتُ على كلّ حائط الرقصةُ تتعثر أمام الباب

الآن أفهم السرّ في تلويحة المرأة اليابانية

تحفظ الروح طيّة فوق طيّة

تحفظ الجسد ظلّا فوق ظلّ

تحفظ الكلام صوتاً فوق صوت

تحفظ العطر رقّة فوق رقّة

تحفظ الإيقاع همهمة فوق همهمة

وتحفظ الليل والنهار في شغف الحديقة

لم يعد للموت طعم الموت

عواءٌ ليس كعوائك يا ألن غينسبيرغ

هنا القصيدة موحشةٌ والشوارع امتلأتْ بالمسلحين

المدنُ اجتهدتْ أنْ تطلق صرختها في بوق القيامة

نَدِمتُ أنّي لم آخذْ تلك الحصاة المستديرة من تحت شجرة الزيتون في الرجبان**

تركتُها بين قبضة رملٍ وزهرة رتم

أشعرُ الآن أنّها شظية من نيزك ضلّ طريقه

وأنّها روحُ وردةٍ وقُبلةٌ لم تكتمل

**الرجبان: بلدة صغيرة في الجبل الغربي، ليبيا

الطُرق

لا يهم

إنْ تفرقّتْ الطُرق

وبقيتْ الساحةُ والعمارة العالية

الدائرة

من مكر القذيفة أنّها تسقط كما تسقط ثمرة من أعلى الشجرة

من مكر القذيفة أنّها ترفع صوتها عاليًا وهي تنزل المنحدرات المتعرجة عمياء كالليل بصيرة كالحدأة

من مكر القذيفة أنها تمتلئ بالدماء كما يمتلئ البئر بالماء

طبل الحرب

البيداءُ تهب المسافرَ ما يقدر عليه وليس ما يريد

الشجن يضرب باب القلب، كأنّه يضرب طبل الحرب الذي حدثني عنه أبي

وأنا اقرأ كتاب مارلين هاكر (أسماء) أتنقّل بين قصائد الغزل، أراقب فولتير والمرأة البيضاء، أسمع أصوات سقوط العملة المعدنية في علبة الصفيح كذلك أرى الوِحشة، أرى يدها تمتدّ إلى الصحيفة تداعب ساق المطربة الشعبية أرجع لغزليات مارلين هاكر، أكثر انتباهاً لمعمار القصيدة، لكنّ البناء كلمات يمكن زلزلتها برفّة جناح!

للحظات كانت الورقة خاوية للحظات امتلأت بترجمات قصائد لمارلين هاكر

هكذا الكلام يعلو، يقترب، يصغر ويتلاشى، وهكذا النوم يحمل سريره وأحلامه بعيدا

هذا طريق يؤدي إلى بيت مارلين هاكر، وهذه ستارة نافذتها

سآخذ معي بهارات ووصفاً مفصلاً للكسكسي الليبي

إن سمح وقتها سنجلس عند طاولة مطبخها الصغير معنا

جولان حاجي، نترجم لزوميات المعرّي

إقليدس 325 – 265 ق م

مَدَّ في الفضاء خطوطًا وأسقطَ السكينة على الأرض

"هذا ولدٌ خطفتْه جنيّاتُ النيل وسقتْه بغايا المعبد خمَرتهنَّ المعتّقة، ترفّقوا به إنْ قابلكم يُلوّحُ بيده في الهواء أو نائماً على عتبات بحر الاسكندرية لا تشوّشوا عليه أغنياته وفوق هذا وذاك لا تلتقطوا ما يتساقط من أعداد على قدميه" قالت امرأةٌ بالمدينة

ما لا يُعبّر عليه عددٌ كاملٌ، أصمّ

حفاظاً على ديمومة الكون وعلى توازن الطّائر الطنّان الذي باح بالسرّ؛ قذفتْ إقليدسَ أيدي حرّاس الأعداد الصمّاء من أعلى البحار الفضاءُ سلّة سرور وما هناك باقٍ هناك وما هنا باقٍ هنا

المستقيمُ لا يُعرّف الحقيقةُ منحنية الفلسفةُ تلهث عطشانة للفودكا مَنْ يجد الباب يجد البيت لكنك لن تجد الباب ولن تجد البيت

لأكثر من ألفي عامٍ رأى الجميعُ الأعداد مثنى الغابةُ قالت: مَرّ بي فردٌ كاملٌ أو لعلّه لم يمرّ في الفراغ تخونك الأعداد الغفيرة التكرارُ طريقٌ مسدودٌ الخطُّ انتصاب في البرية الحدُّ جانبٌ لشيء الحدُّ لا يُعرّى الشكلُ بيت الحدود دائرةُ الطائر شجرةٌ وبُعدٌ

براهين

أ

إلى الكأس أخذتْ النارُ الحاميةُ الرملَ

إلى العنب أخذتْ الشمسُ الأملاحَ والالتفاتةَ

إلى السُكْرِ أخذتْ البهجةُ الشاعرَ والمغنيةُ الراقصَ

ب

وبيننا هواءٌ وشجُر وحُروبٌ

بيننا جبالٌ وأنهارٌ وسُحبٌ

وبيننا قلاعٌ وأعلامٌ ومقابرٌ

بيننا أسرّةٌ تصطكُّ أرجلُها وأسواقٌ وأغاني

بيننا كلامٌ فصيحٌ وكلامٌ معجمٌ ونومٌ ويقظةٌ

ت

الواقفُ على رأس التلّ عارفٌ بالغيوم

الواقفُ على رأس النهر عارفٌ بالصمت

الواقفُ على رأس البحر عارفٌ بالنسيان

ج

يدور الكلامُ على نفسه كثور الطاحونة

يتساقط الشعير في الكيس

كتساقط صوت الماء في أذن الثور

ح

قرص الشمس أبيض يرتعش

يراه العرّاف من نافذته الضيّقة

خ

النقصانُ كيس رملٍ مثقوب

تخدعك قلّته وتخدعك كثرته

لك أن تتمسّكَ بخديعتكَ

أو بنقصانٍ لا تعلمَ قلّته من كثرته

د

إن كوّرتَ يديكَ حصلتَ على ثقبين ، كُرتين، مطرقتين،
جَملين أو تابوتاً لكلامٍ ميّت

ذ

يمينكَ تأخذ من شمالك ما أخذت من يمينك
لا نقصان ولا زيادة في دفتر صاحب المكْس ومُحصِّل الضرائب

ر

صاحب التوت يُقسّم يومَه
في النهار توتٌ أبيض وفي الليل توتٌ أسود

ز

القفز من المنحدر الضيّق قفزٌ غير واثق

أرخميديس 287–212 ق م

"قتله أحدُ جنودي"قال الجنرال مارسيلوس، وقيل مات في الثالثة والسبعين وهو يحلّق في الفراغ بعدةٍ من خطوطٍ مستقيمةٍ ومنحنية حدّقَ الناسُ في عريه وهو يصيح وجدتها. وجدتها وكان هو في عري المرآة الشكلَ الكامل على الرمل، الحياةُ لمعت في سيف الجندي الغاضب
أيّ الأشكال سيرسمها دمُ عالم الرياضيات؟ أيّ أرواح نجتْ من آلتك يا قائدَ الجيشين؟

لأنيّ خبّأتُ مفتاحَ الكُرة الحلقةَ والمستقيمَ تحت حجر؛ لا أحد يسرقُ هوى أصابعي
هكذا تبدأ الأمور: الصباحاتُ الصافية الصباحاتُ التي يسير الناس فيها الصباحاتُ بنكهات الربيع الصباحاتُ المغلقة على نفسها الصباحاتُ المتردّدة في عبور الشارع السمواتُ البعيدة السمواتُ القريبة السمواتُ الكسولة السمواتُ في الثكنات العسكرية

بَعْدَ كَمْ من الأعداد ستنتهي الأسماء؟

قال الحاكم وهو يتثاءب: أيّهما أثقل في ميزان الحساب حبّات رمال أركنو أم كلام الناس في مدن الشمال؟ قال الشاعر: أيّهما أثقل في ميزان الشجن، صفير رمال الصحراء أم غناء النساء الوحيدات؟ قال دليل القافلة: أيّهما أثقل في ميزان المسافات أخفاف الإبل على الرمال أم أحلام المسافرين الموتى؟

ديوفانتس الأسكندراني   القرن الثالث قم

لا علامة للنقصان لا علامة للتكرار لا علامة للزيادة

النقصانُ طلب ورغبة الزيادةُ قدومٌ واتيان التكرار لاشي لا

شيء

رينيه ديكارت 1596– 1650 م

وانهارَ كثيبُ الأسئلة: كلّما صعدتُ صار المكانُ أضيقَ

والفضاءُ أرحب

ما أبغي؟ مطرقة وسنداناً، كلاما مستقيمًا وكلامًا ملتوياً على

نفسه

الاستمرار أحياناً كالسفر على ظهر حلزون

سأجدُ مفتاح كلّ الأقفال

سأجد الخطوات إلى طاولتي في الصباح الاستثنائي

حاذر من زهرة الصبّار

اقترب منها قبل أنْ يهرب الندى إلى حاشية الليل

سهلٌ وصفُ زهرةِ الصبّار

بأيّ لغة تفكّرين يا نحلة؟!

نسيتُ إلى أين كانت تمضي الرغبات ذات القميص الأزرق!

اسحاق نيوتن 1642 – 1727 م

ربطتْهُ السماء بخيط من نور، صار يفكّر كيف يعيد النورَ إلى النور

الطريقُ من الرياضيات إلى الإلهيات تقوده العتمةُ الكثيفة!

سيدي قنانة القرن 18 م

الكثبان الرملية بناتُ الريح الجنوبية

بيتُ العناكب صغيرٌ على سفينة النجاة

رشيقٌ كمتسلّقِ نخيل

يسأل الناس عن إيقاعه المسروق

يصرخ اقتربي أكثر أيّتها العيس العطشى

من يفهم حكاية الغريب؟

لقد دخلتْ الأنعام المصيدة الحجرية

ترفّقْ بنفسك وأنت تنزل الوادي!

يدٌ تحملُ إبريقك ويدٌ يتدلّى منها سيف قاطع

ارتجافةٌ وراء ارتجافةٍ

مخيّلةُ الشاعر على حبْل الكون

عليك أنْ تختار بين أن تنزع قشرة السكينة
أو ترشَّ على سريرك ماء الخيبة
أليس الهوى خاصرة زهرة؟!

حرّكْ قدميكَ يا راقصُ، الأرضُ يبابُ والشواهدُ ترتجف هناك بين جبل أصمّ ورابية تسيلُ منها الشهقات

بغربال يلتقطُ الرياح عارية، النومَ من صالة البريد والنساءَ من مقاهي المدينة عليه أن ينعطفَ ويؤجّلَ شهواته حتى يصلَ إلى البحر

كونت بيزي 1904–1984

00:50

لا تمض إلى حيث تشير يد القتيل

لقد أخذ القاتل الأماكن إلى سراب مفازة

00:52

هل من غد سيأتي إلى هذه الأرض؟

الغد وقت، ما يعني وقت لقتيل؟!

00:54

أيّ طريقٍ اتخذتَ إلى السماء؟

تبعتُ طائرًا، لكنه لم يغادر نخلة أبي!

حيثُ تكون ريبتك تقف المطايا

سأحرصُ على أن لا أجرحَ تجعيدة الروح

أشربَ ما طاب لي من نبيذ المكان الوحشيّ

سأحرص على أن أكون

هشًّا كحبّة لقاح تطير في هواء

حذراً كنملة خرجت توّا من حفرة

شفيفًا كراعٍ وحيدٍ في صحراء

00:58

هكذا ظنَّ الطائر أنَّ العمامة عشّاً

فحطَّ على غصن شجرة قريب

العمامة التي توارثها الأنبياء والرسلُ

00:59

لماذا دم القبائل يغطّي وجه الأرض؟

لا تصدّق اعرابيا ولا تسلب ناقتك عشاءها

إنّك لن تنج من هجير الخيانات حتى:

تفضّ قفل الصمت بصلوات مبتورة

تروِاد نفسك على سكينة افلتت منك

وترتّق ستر أمْسك فلا ترى جثته المتعفنة

1:00

هو الموت إذن!

هو الموت إذن!

حبل كلام تهزّه الريح

صاحب الدفّ

دفوف تدقّ، أشجار طلحٍ أورادها في حلوق طيرٍ

الذين قاتلوا ريح القِبلي لم يجدوا علامات الطريق

في أيديهم تمر يابس وعيونهم تلمع تحت الشمس

حين سمعوا صوتاً أليفاً نظروا إلى أعلى

القبلي يدقّ دفوف الموت، القِبلي مذراة النسيان

الذين قاتلوا ريح القِبلي صاروا صخوراً سوداء

ترقبُ الأودية الموحشة في بحر الرمال العظيم

جاءِ البرق في صوته بحّة وفي رِكابه نار

حلمه ماء وعلى نعليه تهتف الريح

وقف على أقوامٍ يملئون بالكلام شقوق الطين

و بأصابع الخوف يتحسّسون بطن الأرض

علّ الزلزلة تفلت من مربطها

في بيت الشمس انحنت الشجرة ووراء الأفق الغامق انصتت الآلهة

سكينة كاملة قارب يطفو وحيتان تهتزّ في سرير البحر

عزْفُ الكائنات متواصل والليل يتعلّم اللغة الجديدة

صاحب البغلة

التفت راكب البغلة حاسر الرأس واختفى في انحناءة السور

كان على الدليل أن يراود اليقين عن المخيّلة الماكرة

لم يبق في القرية الاّ النساء

لم يبق في القرية الاّ الصغار

لم يبق في القرية الاّ خوابي الماء

لم يبق في القرية الاّ زمّار القرية وشحّاذ القرية وساحر القرية

وقوّاد القرية

و حاكم القرية

صاحب الثور

كيف وصل الثور إلى أعلى الجبل؟

كيف جثا قريباً من الرجل العاري ولم يقتله؟

الذي يربط بين رأس الثور والسؤال حبلُ كلامٍ تهزّه الريح

لا تدخلني متاهتك، لا تأخذ مني وقتاً هو وقتي

إلى بيتِكَ صعد الوحش، يرتعُ بين شجرتين كبيرتين وعتبة عالية

كأنني رأيتها واقفةً خلف الباب، وكأنّ آهاتها فجرٌ أحمر تصهلُ فيه خيلٌ جامحة

وكأنّ همسها شبقٌ يُقلق إناث الطير في أعشاشها

صاحب الأخطبوط

هذا الأخطبوط الناعم يحمل تاجه في أبّهة

على كلّ ذراعٍ وردة وعلى صدره يجلس المحار

يتموّج الماء من حوله يتلّوى كما الإعصار

في نفقٍ ضيّق يشهقُ بالعبرات

صاحب الطائر

هذا طائر السلّيو رأيته يعبّ الهواء كما يعبّ السكرانُ الخمر

في بئر الزمان يسقط طائر السلّيو

بمنقاره يزيل الطين من على صدره

لا توسوس له نفسه بالنجاة لا يستجلب من خزانته رائحة الماء

لا يمدّ قدميه يتحسّس الهوّ العميق تحته

كلّ ما يفعله أنْ يغمض عينيه ويغرق في النسيان

صاحب الوقت

في هذه القفار، في هذه الثنايا المجروحة بالكراهية

عيناه لا تريان سوى ناقة سائبة أو فريسة أو قتيل

الصباح معتمٌ كأنه خرج من شمسٍ أخرى بلا ذراعين ولسانُه

لسانُ أفعى

في وقت بين ساعة الليل وساعة النهار

يقطرُ ماء فاترٌ تذوي صخرة على مهل

أتأمل موسيقى الجدجد وكآبة الطين

في وقت بين ساعة الليل وساعة النهار

لم يكن في الهواء أيّ وعد بالرقص

لم يكن على مرمى البصر سوى زوابع ورعود

في وقت بين ساعة الليل وساعة النهار

وقف رجل بجانب النهر

نقش قلبه على ألواح الحجر شِعرا وحكايات

في وقت بين ساعة الليل وساعة النهار

صارت هذي الديار موحشة

توقّف دولاب الفرحة في بيت النساء

تشقّق الليل في قباب الرغبات

ذهب الطائر إلى غابة النسيان

صاحب الوادي

كيف تعلمُ أنّنا مررنا بهذا الوادي؟

أعلم ذلك فقد:

نسينا الطريدة ملقاة تحت الشجرة

وحين انعطفنا على حقل الفول كانت الشمس حمراء كالدم

وحين عوى الذئب وقف الأرنب الأبيض على قدميه

الخلفيتين مواجها ريح الجنوب

وحين نظرت إلى عينيك لم أجد إلا العتمة الباردة

وحين حلمت كانت الخيل تصهل في المدى

نعم لقد مررنا بهذا الوادي

صاحب المقام

الضحكات القديمة غضّة، سريعة، هشّة ورومانسية

جاءت إلى مصر من برنو عبر طرابلس في مخدّة عروس افريقية

رياض السنباطي مبتهجاً بالصوت الذي يسمعه وحده

يرتعش لأن المقام جاء هكذا كاملاً

رياض السنباطي يلوّح بريشته في الفراغ العميق

صاحب الشاعر

جاء الشاعر إلى صبراتة

صبراتة التي عبرها الرومان بعد أن ركب الفينيقيون قواربهم

وخلّفوا وراءهم بحراً تمزّقه الريح من وراء باب حديدي أحمر،

أعطى لسائق التاكسي ثلاثين ديناراً

فكّر أن يُخرج بوب كوفمان من حقيبته ويقرأ له شذراتٍ عن

الثورة، ووساوس سان فرانسيسكو ومبولة زنزانة وسط المدينة،

عن الحشيش ونكاح الأحبة في الحدائق العامة

من حافّة فسيفساء غفل عنها اللصوص كان يرة المسرح الذي

غادره سيفوناي منذ أيام قليلة لأن البرابرة لم يأتوا

قرب هيكل ماركوس أوريليوس، تحت الجرف المهجور،

سلحفاة تتلصّص على امرأة يتبعها قطيع أغنام لم يكن في

الجوار سوى نخلة تبول تحتها أوريليوس متأملا بعمق

ابتسم الشاعر وهو يرى صوت الدليل السياحي تحت السماء

الزرقاء يرفرف كعلم يتبعه يابانيون بثياب متشابهة يلتقطون

صورا لأشباحٍ تأتي من ضريح المعبد القديم مشبعةً بدماء

القرابين

الراقصان يعبثان في مرح بزكائب الشعير، يقتربان من دَرجٍ

يصعده الشاعر الذي فكّر:

أين تسبح الجميلات؟

أين الفلفل الهندي؟

أين مذاق القرنفل الحارق على السنة المصارعين؟

أين الحرير يدغدغ مخيلة فاسقة؟

الراقصان يدحرجان قمراً من حجرٍ في سقيفة النائمات،

الناعمات بلا تعب

الشاعر غادر صبراتة غامضا كالبحر

صاحب اليد

يا لروعة اليد

بوصلة القسوة والوداعة وحبر الزمان

من قبضتها يسيل الرمل ويسيل الماء

يا لروعة البقرة

تمضغ الحياة في الحقول الخضراء

فتكون شمس وتكون سماء

يا لروعة الصمت

يحمل كفنه على ظهره

تقلّبه الأيام

يقلّب الأيّام

يقول كلّ شيء ولا يخبر عن شيء

يا لروعة الظل لا ظل له

صاحب الشجن

في طوافك تلهث

من أين يأتي كلّ هذا الحزن؟!

واجهت البحر، هِمتَ بكلمات سقطتْ حروفها في الفراغ

ما الذي يملكه البحر ليهبه لك وهو البحر؟!

أيّها الأحمق

كنتَ خارج الرغبات

لم تلتفت للصبية قرب الحائط الطيني

هل رائحتها التي لاحقتك أم رائحة الطين؟

هل حيّتك حقًا أم أنّها أشارت إلى طائر في السماء ؟

ألم تستمع للسهل يرفع صوته في الجلبة العظيمة؟!

ألم تتوقف لتتحسّس دبيب الأرض يجوس عروق الظلمة؟

ألم يكن هذا الصدر مليئا بالأصوات، خزانة للألم العظيم؟

صاحب الحجر

نهار من حجر

جسد من حجر

شهوة من حجر

النوافير تسابق الخيل على طريدة السماء، أو هكذا ظنّتْ التي

رفعت طرف ثوبها

الأزرق يجئ على مهل أمامه أقواس من لهب وعلى جانبيه

تجسُّ الأصابعُ الحكيمة

قمح جسد المستلقية الحالمة

ليل من غناء

أفراسه صاهلة

وما تشتهي الأنفس من فجور

صاحب الفكرة

قد يبدو رومانسياً لو جلستُ قرب نافذتي

أتطّلعُ إلى السماء تصفعها الريح

قد يبدو فضولاً لو سالتُ الريح عن سبب هجومها على السماء

الريح التي سكنت شقوق الصخور في الفيافي

تترقّب وقتاً تنتفض فيه تقطف النجوم المتلصّصة وتقدمها للصمت

قبل أن ينهض من نومه حارس البراري

قد يبدو أمراً مهماً لو أغمضتُ عينيّ وفكّرتُ في الجداول

تتجمّع في ساحة المدينة

الجداول التي رغم كلّ السنين لم تكبر ولم تفقد رغبتها في الحديث عن الفروسية وملاحم البطولة، عن قبائل تتناسل في خيام العدم

صاحب الغابة

سأتكلّم عن الغابة التي هناك، تطلّ على كثيب يابس مهمل

تحدّق في الأفق وتشيرُ إلى قلبها الوشاية ليست من طبعها

الوقت الناقص ليس من أصدقائها، السماء أعطتها سحابة

وسبع نجمات

هوميروس مرّ قريباً منها حيران حسْبُها أنّها هي لا أكثر

سأتكلّم عن نافذة الشاعر التي هناك، تنتشي حين تحطُّ

العصافير على كتفيه

الغواية ليست من طبعها، الوقت الناقص ليس من أصدقائها

كفافيس اشتد به الشوق أمامها حسْبُها أنّها هي لا أكثر

سأتكلّم عن النحلة التي هناك، يهتزّ جناحاها بالبهجة

الصافية

تتبع مغمضة العينين غواية الرائحة

الخوف ليس من طبعها، الوقت الناقص ليس من أصدقائها
الجاحظ وقف ببابها مبتسماً حسبها أنّها هي لا أكثر

سأتكلّم عن البحر الذي هناك، يهمس للقوارب
يرجّع للغرقى أغانيهم ، السماء مرآته، الظلمة وسادته
العجلة ليست من طبعه، الوقت الناقص ليس من أصدقائه
أبو نواس أراق فيه نبيذه النعسان حسبه أنّه هو لا أكثر

صاحب الطريق

الطريق لم يكن فسيحاً، لم يكن ضيّقاً

على جانبيه نخيلٌ مكابرٌ وبقرات سمان

شمس مارس نثرت عليه شهوة الحقول

الوجوه التي رافقته امتلأت بالتجاعيد

من هنا مرّ هولاكو، تقرّحت فخداه فأحمرّ وجه الفرات

قد نسلم لو نرجع إلى أهلنا، نقفل علينا بيوتنا، حتى يزول غبار خيلهم

كان الطريق وحده في الطريق

كان الصراخ الموجع يفيض على الضفتين

صاحب التاج

ما كان لجورج الخامس أن ينتبه لصورته المنعكسة على

صندوق الألومنيوم

في الساحة المغطاة بالكبريت قرب البحر أو أن يعد البالونات

الملونة

في يد الطفلة ذات الفستان الوردي أو يسند بذراعه زوجته

ماري

كي لا تقع من على سلم السفينة أو يخمن ما بداخل الكيس

الذي كتب عليه كيت كات

في يد شاب يهم بمغادرة الساحة أو يتفهم ضرورة أن يتبول

العجوز الملتحي الحافي القدمين واقفا أمام بوابة الهند أو المرأة

الملتفة بسار له رائحة الصندل تمد يدها في الهواء فارغة

وتهمس بكلمات لقادم من بحر الرمال العظيم لا يملك سوى

يدين فارغتين

صاحب السور

أيّها الشاعر الذي مضى بعيداً عندما يفيض الصدر بالشجن

كيف يستعيد الليل جنوحه واليد رجفتها؟

رجلٌ سابح في مقام الاصبعين

رأيته من وراء سور المحطّة

من بين أغصان شجرة الليمون

كان وحده في المكان

فؤادٌ حزين يحرّك قوس الزمان

يدفع باللحن إلى أعلى علّيين

القيد والظلّ والأماني

القيد

القيد بيد اليقظة

القيد بيد النهار

لا قيد ولا سجّان في ليل

لا حاكم ولا محكوم في ليل

لا سلطان ولا رعيّة في ليل

حين تسقطُ على أرض الزنزانة

من جسد القيد آخرُ زفرة،

لن يرى السجّانُ إلا قيدًا ملقى

النوم ساحة تستريح فيها الكائنات

النوم بستان تسرح فيه الكائنات

ماذا يفعل الجالس عند النافذة؟

يحدّق في الشجرة العالية

يحاول أن يفهم صفير الطائر وقلق الأوراق الجديدة

لكن الجالس عند النافذة

بلا عينين

بلا يديين

بلا أذنين

فقط حزمة أغان خرساء

فقط حجر ملقى على الطريق

الظلّ

خذ قبضة من ظلّ نفسك، هل امتلأت قبضتك بشيء؟

يتفتّت الخيال كما يتفتّت ظلّ في قبضة يد

لا تجعل بينك وبين الظلّ شيء

دعه ينهض من نهاره إلى ليله

لا تثقل كتفيه بأحلامك

ولا تكن الظلّ

الظلّ دربٌ إلى شمس

قد تكون شمسكَ

وقد تكون شمسًا لظلّ قديم

هذه شمس الخيبة الكبرى

مهٍ مهٍ

لا تقضِ عمرك تسكبُ الظلال

الأماني

لو شئتُ خلطتُ لكم لأعلى بالأدنى، السماءَ بالأرض،

الماءَ بالنار، الريحَ بالعشب، النورَ بالظلمة

لو شئتُ فرّقتكم في البراري كالخيل وجعلتُ وقتَكم حصباءَ في ريح

لو شئتُ علّقتُ أمانيكم على سعف النخل أماني تنقرها الطيرُ

لكم أن ترفعوها مكانًا عليًا أو تخفوها في أفواه الشياطين والجن

هذا أمانيكم التي فرّقت بينكم!

عندما قابلتُ حافظ الشيرازي في الغابة

الغابة بجانب المرفأ تطفو

ثم تعلو ثم تطفو ثم تعلو

الغابة تنتظر!

عند الغسق تأتي القوارب،

تطوي أشرعتها تحت الجسر الوحيد

في البلدة التي لا ينطق سكّانها اسمها

فقط أعلام تُرفع على صوارٍ،

بخطّين حمراوين مائلين ودائرة زرقاء

الليل دائمًا يقترب من جانب الجبل

يحمل في زوّادته خبزا للمطابخ

ولحوم أيائل جفّفتها رياحُ الشمال

بحاّرة بوجوه متشابهة

تصعد، تنزل المرفأ البارد

بحّارة قلوبها في بلاد بعيدة

سيّان عندها دفء الحانة الثقيل

أو أغانٍ أثقلها صمتُ البِحَار ودوارُ الحنين

"جئتُ من كوّة في السماء

تكلّمتُ بلا لسان

وقفتُ بلا قدمين

ثمّ مشيتُ خلف قلبي

في الساحل

في الجبل

بين الناس

وكلّما أوجعني

جلست على حجر وحدّقتُ في الأعالي

لم أسع وراء جواب

لم أسع وراء طمأنينة عابرة

لم أسع وراء شيء"

قال حافظ

"كانت الشجرة أعلى من رأس يقطر بدمٍ غزير

كانت الأرض أبعد من كوّة في السماء

كان الألم كُرة تتدحرج من أرض أخرى

كان الألم نشيدَ إلهٍ مكسور الجناح"

قلتُ

قصيدة غزل رقيقة، ما بيني وبين حافظ

أنا أرقّقُ حكايات الغابة بين اصبعين مرتعشين

وهو يدوّر شهقات الشهوة يأخذها بعيدًا عن حانة

وبعيدًا عن شجرة تين وراء النافذة المشرعة

"لا تتعبْ الوقتَ قبل أن ينضج التين"

قال حافظ

"أيّ الدروب أقصر لساحة الرقص؟"

قلتُ

"ساعة قبل الشفق،

ترسل الشمس أجنادها

لتوقظ الظلال الرابضة على الجبال

وبين جيوب السحب وفوق الأشجار

كي تولد غربانا كاملة من جديد"

قال حافظ

"كيف إذن، على كلّ شفة بئر، غراب فرحان؟!

وكيف لهذا القلب أن يلتقط في الهواء

همسَ شرانق تفتح أبوابها للكون؟"

قلتُ

"للصيّاد المنهك، السحبُ الواطئة سرب أطيار

للجندي العائد من الحرب، الأشجارُ ملأى بالرغبات

للسراب في الصحراء، المدى طيّارات ورق تقترب وتبتعد

للبذور المدفونة تحت الأرض، نغمٌ تنهض وتسقط عليه الكائنات

للبحر البعيد، سفائنُ في حلوق الطير"

قال حافظ

"بشرٌ يتزاحمون في قاعة واسعة

ماذا يريدون؟

ما الذي جاء بهم، هذه الساعة؟

عطور تفوح وهمهمات تصطدم ببعضها

ونهارٌ يقصر من أكمامه

وسحب دخان تنزلق على الحيطان

وحده وردُ الأصّيص في الركن يراقب بلا اكتراث!"

قلتُ

"كلّ سماء قريبة من الغابة لها رقصتها

ولها دهشتها والكثير الكثير من الضحكات"

قال حافظ

"كلّ شمس قريبة من الغابة لها رقصتها

ولها خيلها ووشمها والكثير الكثير من دنان الخمر"

قلتُ

"النمل لا يتلصّص على العشّاق

غايته أن يصعد ساق شجرة

أن يستنشق في طريقه وردة الحارس العجوز

غايته أن يستريح في الظهيرة تحت الجسر

غايته على بعد نملتين

أن يقطف حبة شعير أو حبتين"

قال حافظ

"إذا أخذنا من الوجود سكرته

إذا أخذنا من الأجساد صبواتها

إذا أخذنا من الألوان حيواتها

إذا أخذنا من المحبّة أتباعها

ما الذي يتبقّى؟

أصداءُ كائنات تعوي في الوديان!"

قلتُ

"من طرف الغابة إلى طرف الغابة

تعبر الأقدام بصخبها بصمتها

أقدامٌ من زمن بعيد بعيد"

قال حافظ

"صوت قبلة حارّة يملأ الغابة!

قلتُ

"لنأخذ العاشق إلى النهر يودّعه ويودّعه"

قال حافظ

"لا، بل نأخذه إلى صحراء يسمع هدير الصمت"

قلتُ

"ها قد وصلنا البحيرة!

سأنزل الماء، سأبحث عن مكان ظليل

أجمع أخشابا للنار

سأتحدّث مع البومة والغراب

وعندما يجيء الليل سأجد سمكتي"

قال حافظ

"الغراب الذي وقف أعلى الصاري

كان غريبا مثلي، لكني نزلت

المرفأُ كأيّ مرفأ، يراك ولا يراك

يئنّ بأثقال البحّارة الغرباء

يهب طعامًا وخمرًا ويأخذ منك الطمأنينة

المرفأُ لحظة غياب أبدي!"

قلتُ

الشعراء

شاعرٌ يجلس قبالة النهر، يفكّر في الذهاب إلى السوق الأسبوعي لشراء بطيخة

شاعرٌ في محطة القطار، الثلج يتساقط في الخارج والنورس المحلق في الهواء كأنه يترنّح أو يموت!

شاعرٌ يتريض مع كلبه، الحديقة خالية في الصباح الباكر وأضواء سفينة تتوهج من بعيد

شاعرٌ لم ينهض بعد من سريره، ليس هناك ما يستدعي ذلك وزجاجة النبيذ قريبة من يده

شاعرٌ في سيارة أجرة، يفتح حقيبته ليتأكد من وجود الأوراق المطلوبة

شاعرٌ يدخل المدرسة، يرمي سيجارته والكثير من اللعنات

شاعرةٌ تفتح كتابا جديدًا، تقرأ وتهمس، أنا أكثر كفاءة من هؤلاء

شاعرةٌ في ركن غرفة الجلوس، عين على رضيعها وعين على طائر فوق شجرة الليمون

شاعرةٌ تقف لتقرأ قصائدها، صيف ساخن باهت

شاعرٌ لا يجد نهرا ليجلس أمامه ولا قطارا ليقف في محطته ولا حديقة ليتنزه مع كلبه ولا وطنا

تیهٌ دونه تیه

هشاشة الحال

يبدأ حجاب الرؤية من زلزلة السؤال إلى شرنقة اللذة

تبدأ هشاشة الحال من عري الأرض إلى تلصّص المطر

سيقان الريح دونها رعشة وتيهٌ دونه تيه

الفتى يقرأ في الشبهات آيات الطمأنينة

الفتى يرشق في الأفق الخيبات الهاربة

الفتى يراكم في الظلّ المهمل هفوات العمر

الفتى يتأوه في الحجرات البعيدة

سِرْ سِرْ سِرْ وتنفّسْ سِرْ سِرْ سِرْ

على ظهر الحصان جلس الفارسُ

عاريًا إلّا من تاج يلمع تحت الشمس

البراري غبارٌ تذروه الليالي

لم أر غير جَملٍ وامرأة

هادئاً ورقيقًا يغشى العينَ الحزن

وحشة

الهمس سرابٌ يلمع في فلوات الوحشة

تقف النخلات بأثدائها الصغيرة

الناقة خيطٌ نحيلٌ في فراغ شاسعٍ

الشمس نعسانة في أصواتُ الطير

في مرآة الوقت يتقلّب الليل

بين خيط الضوء وخيط العتمة غربال الرؤيا

الكائنات تدخلُ السماء من بوابة الأوهام

يؤوب القمر يصعد إلى سريره يحدّق في الفراغ طويلاً

تقدّمْ أيّها الخريف مدّ ساقيك على حصير أصفر

فأنا ضفدع صحراء يدحرج الوقت

حين وضعتُ صرختي على صدري لم ينتبه العصفور فوق الغصن

البحر السكران يهزّه موج من فوقه موج

القلبُ الفارغ لا يتوقف عن تثبيت أزرار سكينته

البحر الماكر

يقذف البحر الماكر زبده على المرأة المستلقية

لم يبق من شظف الجسد إلّا لذتة القرمزية

إلى جسدها جاءت الأسماك وغنّت

الفتى خاتلَ حارسَ الليل وغاب في الطريق

كأن العروس حقل زعفران

أدهشتْ البحّارَ انزلاقةُ القارب الناعمة على الرمل

أصابع الطمأنينة تُطلقُ في الهواء فراشات العشية

في القبر الأول جسدان

في القبر الثاني هفوات

في القبر الثالث سراج

البومة بلا حراك

مَنْ يسمع الآتي مَنْ يسمع الراحل

تركني النسيان وحيدًا اتذكّر حاشية الثوب

وكيف سقطَ جسدها الرشيق على سجّادة الكون

لا صوت أشارك به جوقة الكائنات

لا أقدام تسبقني ولا أيدٍ يأبعد بها الألم

كلّ صباح

كلّ صباح أصعدُ طريق الشمس

أقطفُ الحصى المتناثر في البرية

يدهشني ذوبان الأصوات في الفضاء

لا أُبقى منها إلاّ رجفة طفيفة في أجفان الليل

لأني ساذج أبوح بأسرارها

جبلٌ يجلس في ظله

كثيبُ رمل يسرق من شجرة تين رائحتها

على بابها يقف حصانان هائجان

الليل غربال النسيان

المدينة ألف إصبع يتحسّس المطر

المارون الشامتون الصامتون على مضض

الحاملون نعوشهم على ظهورهم

السابحون في عبادات اللسان

المارقون الساجدون تمشي أمامهم خطاياهم

عليها أن تستلقي عارية تغازل النجوم

عليها أن تحفر عميقًا في لسان الكون عن أصواته

عليها أن تُبعد أحلامه

عليها أن لا تنفض أبدًا من على سريرها غبار الليل

طائري الحجري

لطائري الحجري أربعة أجنحة ومنقار ذهبي وحكايات طويلة

عن نساء هائجات

عن أطفال وضحكات وبحر عن آهات حزينة ولهب

عن مقابر في صحارى بعيدة وأنين

عن بيضة كانت لأبي أتوسّدها حين أنام

كلّ شتاء يبني الظلّ بيته يجمع آهاته

يرفعها عاليًا في السماء يطهّرها بغيمة أو بعض يقين

هو يعلم أنّ العمر قبضةُ يدٍ فارغة

ضُمّي إليكِ أيتها اليرقة البارعة خواء النور

ضعي ختمك على فم اللهفة

انظري كيف يحرق الشعراء اللّذّة وكيف يطحنون ماء الرغبات

مخيفة الأرض غارقة في الغفلة

وأليفة ضربات النحّات الأعمى

لقد صار رأسي ناب عاج وعيناي حبّتَيْ فول

لكن وقفتي لا تستقيم إلّا بنبيذ أحمر

وذاكرتي لا تذكر من ليلها إلا هذا الحطام

الحالمون

سطّر الحالمون أغنياتهم

أعطوا لكلّ زهرة اسمها ولكلّ ريح شراعها

وُجد في سِفر قديم أن السلحفاة (رحمة بالعالمين) قد أخفت

في الفراغ العظيم بكاء الأنبياء

أهذه خلوات للمحو أم حجرات لّلذة الماكرة؟

كنتُ قبل التمساح وقبل السلحفاة ملكًا على الماء وعلى

الطين

في عيني نام الوقت طويلاً وكان الفراغ مركبي في وحشتي

الأبدية

على الحجر تركت نابين وانتفاخين ينبضان على مهل

طاش سهمي وانفتحت البطحاء أمامي

تلمّسْتُ نتوء الذلّ وحوّمْتُ آن استطعتُ على عرش السوسنة

قبر السمكة حجر وشمس وهواء

إلى أين رحل البحر وماءِ البحر؟

هزّت عظام ذيلها قليلاً ونظرت بعينين متعبتين

الماء هناك في الأعلى أزرق

أعرفه لا يبقى على حال

الجالس أمام البحر

قال الجالس أمام البحر لرفيقته الناعمة: انظري

فرعون بكامل عدّته ندبةُ الحرب على جبهته ومراهمُ العطّارين السميكة

على صدره وفخديه خصلاتُ شعره ملفوفة بخيط حرير أحمر

هذا ما تفعله الريح بفرعون وبقبلات العذارى

مثلما للأصبع بصمته كذلك للحجر بصمته

حجر الرمل حجر الشجرة وحجر الماء

أعمى يتلمس في القبو خطواته

وحجر يتلمّس خطوات الليل على الجدران

يصعد المعنى في جسد الكلمة مثلما يصعد الماء في جسد الشجرة

لكن الحيرة تبني أعشاشها وتنتظر هناك في آخر الطريق

مستلقيًا قربها على فراش التين وأوراق الصنوبر

ورداتها أغلقت أبوابها ورداؤها القرمزي يهتك سرّ عريها

"إلى البحر" قال كبير الكهنة

"إلى البحر القوا بهما وارتدّوا على أعقابكم ستدخلهما

الريح الهائجة سرّة الكون"

قال كبير الكهنة وهو يلّوح بيده المرتعشة

الرأس

ثلثاي رأس والثلث الآخر ذيل

غرّتي قوس واسع

عيناي أين عيناي؟

طين لازب وتخاريف نار

في قعر الوادي على حاشية الماء وفي أعلى ساق طائر الحناء

صوتٌ خيّرني بين موت في سقيفة ظليلة أو موت في حانة

كنتُ سكران وكانت الموسيقى في أول الديوان الكبير

قالوا رأسي حبّة عدس لكنّي ملك

اخترتُ الجبل سكنًا ومستقرا وطائر البوبشير لي رمزا

أعلّق على كتفي الأيمن مشبكًا من ذهب

أطلق جيادي مع مجيء الفجر الأبيض

ولا استقبل الليل إلا سكران

طوبى لي وطوبى لمملكتي

من عنق الزهرة

على الجانبين تنهار الموجات واحدة إثر أخرى

رايات كثيرة ملونة عالية وأنا ببطء شديد افتح عينًا واحدة

وببطء أشدّ اقضم قضمة من عنق زهرتها وأغرق في النوم

لأنجو من بحر الرمل التصقُ أكثر

أدوّر نعومة الرمل تحت الصدر وتحت البطن

اجعل درجًا على بسطة كلّ رجفة

تحدق مقاعد الحديقة الطيبة في الفراغ

تخاطب الطفلةُ في الفستان الوردي قطتها السابحة في الهواء

تنهمر أغاني الربيع من صومعة الجامع

ترنوا باسمة في عليائها السموات

نرقص ونملأ الكأس تلو الكأس إلى أن يفضح الديك رسول النهار

عقرب الماء

من نافذتي يمكنني أن أعرف كم مرّة غطس عقرب الماء

العظيم!

يقف على حراشف قدميه الخلفيتين يرفع أذرعه الثمانية يقوّسُ

صدره وبطنه

ثم يلتفت نحوي ملوّحًا بقرنين أسودين طويلين

في الحضرة يأخذني الأرجواني الوديع

في السكْر يأخذني الجناحان المستسلمان إلى رائحة القرنفل

في الشهقة يأخذني خيطها الحريري إلى استدارة الصباح

في الظلمة يأخذني الوهم إلى حرب جديدة

تطلُّ بأعناقها هادئة كأن المساء لم يعبر بوابة الظلال

فوق كلّ نخلة حمامة وفوق كلّ حمامة سماء

غاب النوم والنافذة مفتوحة على الصحراء

غربان

بيديّ أُدوزن ماءها

غربان الأمس لم تأتي لعلّها رحلت معهم!

عندما تهدأ الكائنات تنسلُّ في الليل عفاريت الريح

في التيه تتداعى الكلمات تتباعد جدوع النخل تتقارب

الأحلام

الطريق إليها أحجار حمراء وظلال شاحبة

الذين مرّوا تركوا روائحهم

الذين بقوا أخدهم النسيان

في الصيف تزدهي قبّتها البيضاء

نتوء في الريح معلّق هكذا

وغبار خطواتهم يبحث عن صدى أغانيهم

رأس الملكة وعنقها الطويل على النهر

والنهر يلقي سجادته الذهبية قاربًا لقتلاه

جاءوا بحملين كبيرين من تمر وتين

جاءت دواب البرّين رَمَتْ النظرات الحزينة على وجه الماء

عندما ارتفع رأسها قليلا ورنت بعينيها نحو الجنوب

اهتزت الأرض وانتشر الظلام

على قضيب يستريح حجر

ما تبقّى

هذا ما تبقى من قيظ ظهيراتي

جرار خمر وصدى كلام عابر

الحجر أفشى أسراري وهرب مع الهاربين

هذه بوابة التعب العظيم وهذه نافذة اليقين

قُرب دورق مكسور ظِلّ عقرب جائعة

فناء مليء بالعويل والعرق

هذه آخر بواباتي أين المفر؟

دخلوا بقبعاتهم الطويلة المدبّبة

بتنانيرهم القصيرة المشقوقة من الجانبين

بلحيهم المضمّخة بزيت الزيتون

بصنادلهم الملوّنة من جلود السنور والتماسيح

في أيديهم أوراق ومن خواصهم تتدلّى محابر وأقلام

دخلوا صامتين

تقرير

اطلاق نار متقطّع الرجل النحيف يضحك

لم أتوقع سقوطه كان يتكلم بلا توقف

بين أغصان عارية نصبتْ الطيور شراكها

هوىً ساهرٌ بين مكحلتها وانزلاقة الحرير

أطلق قذيفته لمحَ طيف صديقه يهرول نحوه

ميتان في وادٍ غير ذي زرع

ركبوا الحافلة على عجل

تمايل السكران القى السلام على عجل

ضاربوا الطبول جاءوا من كلّ مكان

أنهى أغنيته الحزينة الولد الوراء السور

فتح الكتاب انتزع السيف من يد القتيل

همسٌ حميم رافقه إلى آخر المدينة

قوس الظهيرة خيط لا يكاد يبين

من كوة في أعلى الحائط يختلس السجين شذرات حياة

يراقب تنهيدته تصعد سماء الله

أغمض عينيه لم يشأ إعادة الجملة مرتين

أحبّها يدي

أصفّق بيدي في الظلام لم أتوقف منذ خانني الشِعر

أُحبُّها يدي لأنّها مسحت الكلام عن الكلام

أتألم لأن النوم يأتي قبل أن أسمع أغنية الطائر

أتأمّل مليّاً أسئلة السماء وأشهق برؤية طفولتي البعيدة

كلّما جاء خاطر بلا دعوة انْصَتُّ إلى البلاغة الساذجة

ورقة الحبق الطريّة في فنجان الشاي تستلقي كإلهة ليبية قديمة

أتبعُ أثر الطائر فقط لأسمع لحنه الكونيّ

في الخريف أحدُّق كثيرًا في السحبٍ العابرة

لعلّي ذات خريف أفهم طائر الحنّاء

مطر على نافذة المطبخ

يدُ الريح تنثر رائحة شجرة التين العجوز

صوت ناي يرتجف سماء تتكئ على حزنها

هوى المنقّبة ريشةٌ تتقلّب في الحيرة

لقد غادر الصيف

"لقد غادر الصيف" يقول العجوز الذي جاء مع البحر

حين صعدتُ الجبل توقفتُ حزيناً لم اسمع نباح كلابهم

رأيتهم بين العتمة والماء

المرأة والصبيّ والأعمى الذي نسي الكلام

في السهل الشاسع

في أيدي الرجال الملتحين

في حكاية الراوي البليغ

ترفرف أجنحة الفراشة

قاسياً كان الربيعُ، في هذي القفار القاحلة

(طريقك يقف عندك، فلا تقم لأحدٍ ولا لكتاب، ولا توقد قنديلاً في خلوة

لن يصل الضوء ضجيع القبر، طريقك يقف عندك.

هي طيرةٌ في أنفسكم، وهي شعيرةٌ لنا.

جدارٌ بيننا وبينكم، لا تركبوه ولا نركبه، لا تثقبوه ولا نثقبه.)

(ابن تيمّة، بتصرف)

وقتكَ لا يتّسع لغير القتل.

لكلّ حرفٍ نوره وعتمته. لكلّ مفتاح ثلمتهُ وقفلٌ يتقلّبُ فيه.

لا وقت لك لتلتفت وراءك، فما خلفك مفضوحٌ.

هل امتلكتَ بيْداءك بعدْ؟!

اقتلْ! اقتلْ!

****

امتلأتْ الأرضُ بنواحٍ ثقيلٍ، نزل من السماء دمٌ غزيرٌ.

الموتى على ظهور الخيل، الموتى تحملهم العيرُ إلى وادي النسيان.

الفيافي خؤونةٌ، حصباؤها باردةٌ موحشةٌ.

عطشٌ مُرٌّ ثقيلٌ، عطشٌ يسلّ القلوبَ من الصدور.

من تخلّف ماتَ. مَنْ تقدّم ماتَ. الموتى غابةُ أغنيات.

الأرضُ التي أرتوتْ بالدم خرساءُ. الأرضُ التي اغتربتْ
عَلِقتْ في حلوق الطيرْ.
الأشجارُ لا تعطي ظهورَها للريح لأنّ خاطراً عن البحر يلوحُ
من بعيدْ!
السماءُ حُجرةُ أوهامٍ كبيرة.

شمسٌ لا تشبه شمسهم، تقطّعتْ بين ليلين طويلين، كما تَقطعُ
يدٌ غريبةٌ سُرّةَ وليدْ.
للقاتل نهارٌ وللقتيل نهارٌ، لماذا إذن كلُّ الكلام، ميتٌ وموحشٌ
وغريبٌ؟!

****

على سيْفِ بحرٍ، على رمْلٍ عالٍ، سحالي، خنافس سوداء
وملوّنة، عبقُ صباحٍ، لمعانُ ندىً،
يمشي بينهما، يتصبّب عَرقُ جبينه، يراه دماً ويشمّه دماً.

الموتُ كالمطر، يهطلُ ويهمي وينهمرُ.

قاسياً كان الربيعُ، في هذي القفار القاحلة.

أخذوا جرحاهم وقتلاهم معهم.

النسورُ الجائعةُ التي تحوّم، تنقرُ عيونهم وجنوبهم،

دمّ غزيرٌ يسيل على رملٍ لا يشبع أبداً.

****

أُخْرُجْ

امضِ حتى تُلاقي كثبانًا عليها بومٌ وشميطٌ وأغربةٌ موحشةٌ.

****

وادٍ تركض فيه خيلٌ، عيونها عمياء، وصهيلُها قفارٌ مالحةٌ.

وادٍ يسيل فيه الماء رقراقًاكعطش لا يبرح مكانه.

تُؤنسُ وحدتك بوادٍ آخرهُ بحرٌ، على ضفّتيه

دُورٌ وحكايا تتسلّلُ مع الراحلين بين أخفاف الإبل.

كم من مغارةٍ لا يصلها ذو جناح؟

كم من مغارةٍ هي سريرُ ريحٍ؟

كم من مغارةٍ سقفُها سماءٌ قديمةٌ؟

كم من امرأة تأكل دم يديها، تعوي كذئبةٍ جائعة؟

كم من حاجٍّ لم يرَ آخرَ الطريق؟

****

في هذه القفار، في هذه الثنايا المجروحة بالظمأ

عيناه لا تريان سوى، ناقة سائبة أو فريسة،أو قتيل.

الصباح معتمٌ ، كأنه خرج من شمسٍ أخرى، بلا ذراعين

ولسانُه لسانُ أفعى.

****

قالت:

الليل مفتاح غيب، يرانا، يسمعنا، ينتظرنا في عطفة طريق أو

على وسادة.

لكلّ امرء ليلُه ورؤاه، لكلّ امرءٍ لغتُه المشتهاة.

قالت:

من الجبل تسقطُ صخرةٌ هائلة

من الجبل تسقط الهموم، تدخلُ البيوت بيتًا بيتًا.

لم تكن تعلم أن الخراب مستلقٍ على قمّة جبل!

على لسانه لغتُه الجديدة، وفي يده سيوفٌ تقطرُ بالدماء.

سيدخلُ ورجالُه عليكم، موتٌ يحاصركم في الشوارعِ والأزقة.

ستعطشون ولا ماء

ستجوعون ولا طعام

ستموتون ولا قبر

ستفرّون ولا راحلة

ستستغيثون ولا مجير.

رجلٌ يعرف كيف يقرأ

ما يقولُه التراب

ما يلوّح به الحجر

ما يفشلُ في إخفاءه الشجر.

****

صاروا يرون قتلاهم وأسراهم في منامهم

صار القتلُ غيلةً درجةَ قربى وعلامَة محبّة

سيوفٌ تصلُ إلى سقف الدار تقطرُ بالدم.

ساكنو السموات مشغولون بعدّ القتلة والقتلى

بوضع الغنائم في صحائف لا يسقطُ منها شيء

لم يُطفأ لهم قنديلُ ولم تُغمض لهم عين.

****

بيت شِعر يجيرهم من جوع، أو من قَطع عنقٍ وسبي.

هم لا يحلمون بشيء. لا شيء لديهم، الغربان أعقل منهم.

العيرُ تحمل أحزانهم في البوادي والكثبان

فَركَ البعرةَ في يده، عرفها، أليفةً كإسمه!

****

لمئات السنين تسري الحكاية مسرى الماء في الشجر

عنْ مَنْ قتلَ منْ، عن الراحلين إلى الجنّة، والراحلين إلى سقرْ

عن الأخ قَتلَ أخاه، عن الإبن قَتلَ أباه، عن الأب قَتلَ ابنه

جميعهم جذرٌ واحدٌ، غارقٌ في البداوة، غارقٌ في التوحّش

جذرٌ يُسقى من دمائهم، ليل نهار.

****

امرأة نزيعةٌ لم تدري أن يداً ستتسلّلُ، تُخلّلُ درعها بشوكة من

ورائها وهي تنظر لحليّ الصائغ.

حين بانت عورتها، بانت عورةُ قومها، تعرّى الدمُ في ساحة السوق، تدحرجت رؤوسٌ على ظلّ سيفٍ، لم يتوقف القتّل في ذكراهم، ولا السبي في نسوانهم، اللاتي تقسّمن بين الرجال.

****

الطمع له سيقان تنزل من الجبل
الطمع أبوابه تفتح على مقبرة.

جاسوسٌ لكلّ وقتٍ، جاسوسٌ لكلّ حالٍ وأمرٍ، لا تعلمه. قد يكون في ثيابك. قد يكون ناضح شعيرك. قد يكون عسسًا على عسكرك.
قد يكون أنت سيّد القوم!

****

رجلٌ أعمى، يده تقبضُ على تراب.

سماؤه غبار شكّ.

كلٌّ واحدٍ يحسب أنّه إلى إلهه أقرب!

كأنّ الهواء سدّ، وسهامي ريش غربان

فلا السدّ سقط، ولا السهام تضرّجت بالدم!

ما حاجة النساء للدفوف ومديح القتلى؟!

الموت على إيقاع الدفوف موت عظيم.

****

كلّما أطلّت من فتحة بين خشبة الباب وبين تنهيدة مبلّلة

رأت بين يديه قطاف كرمة وهي التي تشتهي حبّة عنب.

لا تسألينه ما شأنه بحديدة

لا تسألينه عن لمعة الضوء على الحائط

هو في خلوة حبسٍ ويداه مغلولتان.

لا جدوى من غلقِ بابٍ أو عسسٍ يتنصّت!

بيوتٌ تهفوا لطارق ليلٍ أو جائعٍ بردان

القتيلُ الذي سيكون، على سريره أبيض كقطنة.

كلٌّ يريدُ أن يغمسَ يدَه في دمه، ويدخلَ بها الجنّة

مَن زاحم على قتله أعشى. كانت رائحة الدمِ عينُه.

قال عرفتُه ، كان وجهه كالقمر

سمعتُ بأذنيّ هاتين، خشّة السيف في بطنه المملوءة خمرًا.

من عادة القاتل الهرب

من عادة القاتل أن يكون له ألف عين

من عادة القاتل أن لا يسير في وسط الشارع

من عادة القاتل الهرب.

امتلأ المكان بأصوات تزعق خائفة

قاتلٌ أو قتلةٌ يهربون

انهضوا أيّها الموتى النائمون

ليلُهُم عدوّكم

اشعلوا سعف النخيل علّكم ترونهم يهربون

يجرون خائفين، لا ينظرون وراءهم

ظلالهم الطويلة تلحق بهم

حتى جعلوا النهر غطاء.

ما جاءَ أحدٌ يسأل عن طعام

ما جاءَ أحدٌ يسأل عن غَرفة ماء.

يومٌ

لا ملائكة فيه

لا رجال بيض

لا خيل بلق.

سماء فارغةٌ ضيّقةٌ، وحسب!